الكِبْرُ والخشوع في القرآن الكريم
(دراسة تحليلية)
- سور الحواميم ميدانا بحثياً -

أ.د حميدة صالح البلداوي*

تاريخ قبول النشر ٢٠٠٩/٣/٢٤

باعث البحث :

يهدف هذا البحث في دراسته المحددة بسور الحواميم الى بيان أسرار البلاغة و تفنن الاساليب في الخطاب القراني الكريم في مواضع بعينها ، و هي مواضع ذكر الاستكبار والخشوع مع تأمل صورة المتكبر والخاشع في الحياة الدنيا والاخرة ، والبحث في صيغ البنية الخطابية وتراكيبها ، ودراسة مدلول هاتين المفردتين على وفق السياق الوارد فيها صريحاً وضمنياً ، علماً انّه ليس من منهج البحث دراسة ما جاء في بحوث العلماء والدارسين حول الحروف المقطّعة في القرآن الكريم بل التوقف عند أساليب النصّ القرآني وهو يخاطب المتكبرين ويدعوهم الى الايمان والتوحيد تواضعاً وخشوعا للّه تعالى .

أولا: (حدُّ الكِبْر والخشوع):

يُقال (استكبره وأكبره) أي رآه كبيرا ً وعَظُم عنده(١) والتجبّر كالكبرياء التي هي صفة للّه تعالى ، لانها ذاتية لعلوّه وجلاله ، جاء في الحديث القدسيّ : (الكبرياء ردائي و العظمةُ اِزاري ومن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار)(٢).

وورد في الحديث الشريف انّ من يتصف بالكبر هو (من بطر الحق وغمص الناس)(٣). اما التواضع فللعبد يقول (ص) في حديثه الشريف (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر ، و لا يدخل النار من في قلبه ذرة ايمان) (٤) .

وقد حبب الله تعالى (التواضع) لخلقه ، و الى هذا يذهب قول الامام علي (عليه السلام) (فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لَرخص فيه لخاصة انبيائه و لكنه سبحانه كرَّه اليهم التكابر و رضي لهم التواضع)(٥) فأحب العباد اليه تعالى من ترك الاستكبار و الاصرار.

و في هذا المعنى تأتي مناجاة الامام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) لربه قائلا : (وان أحبَّ عبادك اليك من ترك الاستكبار عليك ، و جانب الاصرار ولزم الاستغفار)(٦).

و لقد اتصف الرسول الكريم بها في تعامله ، اذ كان (ص) يعود المريض ويشيّع الجنائز ويجيب دعوة العبد ، ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويصافح الغني والفقير ويسلم مبتدئاً متواضعا من غير مذلة(٧) .

و في ادب الوصايا نقرأ ما جاء في سياق الدعوة الى نبذ الفخر والخيلاء للامام علي (عليه السلام) قوله (ضعْ فخرك واحطط كِبرك واذكر قبرك)(٨) .

والتعوُّذ من الكبر يأتي لانه مفسدة للعبادة يقول الامام زين العابدين (ع) مناجيا ربه (واعزني و لا تبتليني بالكبر ، وعبّدني لك و لا تفسدْ عبادتي بالعجب)(٩).

* قسم اللغة العربية / كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد.

اما التواضع في ادب الصوفية فهو (الاستسلام للحق وترك الاعتراض على الحكم)[١٠] ، والعز فيه وليس في الكبر[١١] . ومن لطيف ما قرأناه في ادب المتصوفة ما جاء في وصية (محيي الدين بن عربي ت ٦٣٨ هـ) لمعالجة الكبر في نفوس الاخرين حيث يقول:

(اذا رأيت متكبرا فتواضع له ، فأن حقيقته عبد فتذكره بتواضعك ، فترتاح النفس الى أصلها من حيث لا تشعر فيحبك فاذا أحبَّك قرَّبك ، واذا قرَّبك اشتهى خدمتك فأسمِعْهُ حقيقته بسياسة من حكايةٍ أو ضربِ مثلٍ في مسامرةٍ و منازعة حديث يجدها من نفسه فيُقبل فتكون معلَّمه فتنتقل رياسته اليك وانت مُتحققٌ بالله فتردّها الى الله ، فأن اللّه لا يأخذ الاّ ممَّن يعرفه لان العارفَ يتأدب في العطاء)[١٢] .

وقد وردت هذه المفردة صريحة في القران الكريم (٥٧ مرة) منها (التكبر والاستكبار و الكبر و يستكبرون واستكبروا) مشيرة الى الكفر ومناقضة في مفهومها لعبادة الله والسجود له ، لذا جاءت في سورة السجدة صريحة في قوله تعالى : « انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سُجّدا وسبحَّوا بحمدِ ربهم وهو لا يستكبرون » (السجدة : ١٥) وهذه النزعة هي التي أخرجت ابليس من الجنة يقول تعالى « قال اهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فأخرج انك من الصاغرين » (الاعراف : ١٣) .

و اما جهنم فهي مثوى المتكبرين الذين لا يتواضعون لله خشوعا و عبادة ففي سورة (الزمر) التي سبقت سور الحواميم في النزول ، يصف سبحانه مشهدهم يوم القيامة في قوله تعالى « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ألبس في جهنم مثوى للمتكبرين » (الزمر : ٦٠)

و يتكرر تصوير المشهد توكيدا في خاتمة السورة نفسها في قوله تعالى « قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين» (الزمر : ٧٢)، ومدلول الاستكبار ايضا (الاثم) ففي قوله تعالى « ويل لكل افاك اثيم » (الجاثية ٧) ، يتقدم الافك عن الاثم (لأن الافك سبب الاثم)[١٣] و علته .

و نقيض الكبر الخشوع والتواضع والتذلل جاء في القاموس المحيط (وتواضع تذلل و تخاشع)[١٤] على ان مفردة التواضع لم ترد صريحة في القرآن الكريم ، بل وردت مفردة التذلل لتعني الرفق والرحمة تعاملا انسانيا كما في قوله جل وعلا « و اخفض لها جناح الذل من الرحمة » (الاسراء :٢٤) وقوله سبحانه « ... أذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين...» (المائدة :٥٤) .

اما مفردة الخشوع فقد جاءت ست عشرة مرة لتعني نقيض الكبر ، فالخشوع هو (الانقياد للحق)[١٥] ومن معانيه السكون يقول سبحانه « ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت...» (فصلت ٣٩) .

وهوعند علماء الصوفية (مقام) من مقامات العارفين ، ومن يتأمل مناجيات الامام السجاد (ع) ويقرأ قوله (وهذا مقام من استحيى لنفسه منك ، وسخط عليها ورضي عنك)[١٧] يجده ممهدا لهذه المنزلة من منازلهم ، ولقد سئل الجنيد (ت ٢٦٧هـ) عنه فقال : هو (تذلل القلوب لعلاّم الغيوب)[١٨].

و محل الخشوع القلب وليس الظاهر يقول تعالى « ألم يأنِ للذين أمنوا ان تخشع قلوبهم» (الحديد:٩٦) وهو صفة للمؤمنين في تعبدهم « الذين هم في صلاتهم خاشعون » (المؤمنون ٢)

اما **<u>الحواميم</u>** فهي السور المكية الاتية : (غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الاحقاف) وهي سبع سور متوالية بالنزول تبدأ جميعا ب (حم) الحروف المقطعة التي تعددت الاراء ووجهات النظر في تفسيرها قديما وحديثا ، وحين عجزت الافهام عن ادراك سرها ركنت الى انها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه[١٩] ولقد غلب حضورها في السور المكية لان التحدي القرآني في مكة انصب على الجانب البياني (وحيث ان الحروف

المقطعة مفردة من مفردات التميز البلاغي والاسلوبي فقد ناسب ان تتكرر في السور المكية مع تنوع صيغها تأكيدا على تفرد القرآن ومخالفته المعهود من كلامهم)[٢٠]

وهذه الفواتح هي نوع من عشرة انواع من الابتداءات في القرآن الكريم حصرها السيوطي في كتابه (الاتقان)[٢١] ولقد وسمت الحواميم بـ (ديباج القران)[٢٢] وقال عنها ابن عباس (رض) (لكل شئ لباب و لباب القران الحواميم)[٢٣]

عالجت هذه السور جميعا مسألة الكِبر والتجبر على الارض ففي اول سورة منها وهي غافر طرح لقضية (الحق والباطل قضية الايمان والكفر قضية الدعوة والتكذيب واخيرا قضية العلو في الارض والتجبر بغير حق)[٢٤]

و تتكرر الدعوة لنبذ الكبر والعلو في الارض في السور الاخرى من الحواميم والاستعاذة بالله منه في مواجهته لانه شر واذىً لحامله للاخرين ولانه (يمنع اصحابه من التسليم بالحق وهم اصغر واضئل من هذا الكِبر الذي يحيك في الصدور)[٢٥].

ثانيا: الاحالة الى المواضع:

١- سور غافر : وهي ٨٥ آية كلها مكية بأستثناء آيتين جاء ذكر الكِبر فيها صريحا سبع مرات في المواضع الاتية:

« و قال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ٢٧»

« الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين امنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار٣٥»

« واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنّا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنّا نصيبا من النار٤٧»

« قال الذين استكبروا إنا كلٌ فيها ان الله قد حكم بين العباد٤٨»

« ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كِبر ما هم ببالغيه فأستعذ بالله انه هو السميع البصير ٥٦»

« أدعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ٦٠»

«أدخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين٧٦ »

٢- فصلت : وهي (٥٤) آية كلها مكية جاء ذكر الاستكبار فيها صريحا مرتين والخشوع مرة واحدة .

« فأما عادٌ فأستكبروا في الارض بغير حق وقالوا من أشدُّ منّا قوة أو لم يروا ان الله الذي خلقهم هو أشدّ منهم قوة وكانوا باياتنا يجحدون ١٥»

« فأن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون٣٨»

« ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت و ربتْ انّ الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير ٣٩ »

٣- سورة الشورى : وهي (٥٣) آية كلها مكية الا الايات (٢٣ ،٢٤، ٢٥، ٢٧) ورد فيها ذكر الكبر صريحا مرة واحدة وكذلك الخشوع .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كَبُر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب ١٣ »

« و تراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي و قال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم و أهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين في عذاب مقيم ٤٥»

٤- سورة الزخرف : وهي ٨٩ آية كلها مكية الا الاية ٥٤ . ورد فيها ذكر الاستكبار ضمنيا مرة واحدة في سياق قصة موسى (ع) وتكبر فرعون في الارض « ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون٥١»
٥- سورة الدخان وهي ٥٩ اية كلها مكية ورد فيها ذكر الكِبر ضمنيا مرتين « أن أدّوا الي عباد الله اني لكم رسول امين و أن لا تعلوا على الله اني آتيكم بسلطان مبين ١٨-١٩»
« ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين ٣٠-٣١»

٦- سورة الجاثية و هي ٣٧ اية كلها مكية ورد فيها ذكر الاستكبار صريحا في موضعين و الكبرياء التي هي لله تعالى في موضع واحد
« ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرمستكبرا كأن لم يسمعها فبشّره بعذاب اليم ٧-٨»
« و اما الذين كفروا أفلم تكن آياتنا تتلى عليكم فأستكبرتم و كنتم قوما مجرمين ٣١»
« وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ٣٧»

٧- سورة الاحقاف : وهي ٣٥ آية كلها مكية الا الايات ١٠-١٥-٣٥ وقد ورد فيها ذكر الاستكبار صريحا مرتين « قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ١٠»
« ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ٢٠»

ثالثا : صورة الكِبر والخشوع في الحياة الدنيا والاخر:

بم يتيه المتكبر في دنياه؟ ولمَ الاستعلاء ؟ وعلامَ العُجبْ ؟ الجواب عن هذا جاء في الحواميم فعند فرعون هو الكِبر بالسلطان والجاه « يا قوم أليس لي ملك مصر »وعند بني عاد هو الكبر بالقوة البدنية التي منحها الله تعالى له « فأستكبروا بالارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة » وعند المعرضين عن التوحيد هو الكبر بالضلالة « كبر على المشركين ما تدعوهم اليه » والاصرار على الشرك « ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا »

و قد عرض الخطاب القراني سورة المتكبر في الحياة الدنيا بأساليب عدة منها:
١- الحوار: وهو اسلوب محبب ومطلوب في الترغيب والاقناع ، ولئن جاء حوار موسى (ع) لفرعون وآله في دعوة ترغيبية منتظرا الهداية والاستجابة « أن أدّوا اليّ عباد الله ... وأن لا تعلوا على الله ...» الدخان ١٨-١٩ فإن حوار فرعون لقومه كان منقطعا لانه جسّد الاستكبار والعلو فهو لا ينتظر إجابة او تغييرا ، بل اذعانا وتسليما ، والاستفهام الوارد في خطابه جاء استعلائيا يعني به التقرير والاثبات « ونادى فرعون في فومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر»
٢- التوكيد : ومنه ما جاء بالاثبات بعد النفي كالذي ورد في سياق الخطاب القراني للنبي (ص) في عرض حال المشركين و اصرارهم وجدلهم في الباطل الذي هو محصّل الكِبر « إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم الا كِبرٌ ما هم ببالغيه » غافر ٥٦ وكذلك التوكيد بـإنّ « إني عذت بربي وربكم من كل متكبر جبار» غافر ٢٧ كما يأتي وصف حال المتكبر بالإخبار عنه فيما رواه سبحانه عن قصص الامم الماضية « فأما عاد فأستكبروا في الارض بغير الحق » فصلت ١٥ والتاكيد على مصير المتكبرين بعد الحساب « أدخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين » غافر ٧٦
ومنه التوكيد ايضا بالتقديم والتأخير كما جاء في خاتمة الجاثية « وله الكبرياء » الجاثية ٣٧ بتقديم الخبر على المبتدأ للتخصيص معطوفة على ما قبلها (فلله الحمد) بتقدير جواب من

يسأل : لمن الكبرياء؟ (ولمن الحمد ومن اهله؟ فأخّر الحمد في حين جاء في الفاتحة الحمد لله وهو الاصل)[٢٦]

٣- ويتجلى اسلوب اخر وهو(المحاججة) وهي مطلوبة في سياق الحوار بما تعنيه من (الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه)[٢٧] يقول تعالى «واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا إنا كلٌ فيها ان الله قد حكم بين العباد » غافر ٤٧-٤٨.

و الاحتجاج يأتي في سياق المجادلة « الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله» غافر٣٥ فأخبر سبحانه وتعالى (ان جدالهم في هذه الايات لا يقع بحجة وانما يقع عن جهل وان الله يطبع على قلوبهم ويصرفهم عن تفهّم وجه البرهان لجحودهم وعنادهم واستكبارهم)[٢٨].

و في مشهد العرض على النار تأتي المحاججة تقريعا للكفار يقول تعالى « و يوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون » الاحقاف ٢٠ .

ومن ثم وبالتدرج الزمني تأتي المحاججة في مشهد الحساب«واما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فأستكبرتم وكنتم قوما مجرمين» الجاثية٣١.

٤- كما اتضح اسلوب اخر وهو المقابلة اي (ذكر الشئ في بعض صفاته مع ما يوازيه)[٢٩] كالموازاة بين المؤمن والمتكبر في الارض والسماء يقول جل وعلا عن ملائكته المسبحين مقابلا اياهم بحال المتكبرين على الارض « فأن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون » فصلت ٣٨ . ونجد هذا الاسلوب ايضا في قوله تعالى « و له الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم» الجاثية ٣٧ . موازيا سبحانه بين حال السموات والارض في استيواء الكبرياء والعلو له وحده فيهما تعالى

٥- التكرار : وقد تجلى هذا الاسلوب في السورتين اللتين لم ترد فيهما مفردة الاستكبار صريحة بل جاءت ايحائية ضمنية وهما (الدخان والزخرف) ، فلبلاغة الاسلوب الالهي ترد مفردة مماثلة لها وهي العلو متكررة مرتين لتوحي معنى التكبر وتؤكدها يقول تعالى « أن أدوا اليّ عباد الله اني لكم رسول امين وأن لا تعلوا على الله » الدخان ١٩

ويقول سبحانه : « ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين» الدخان ٣١ ويتكرر مدلول الاشارة الى العلو في الحيز المكاني ايضا بفن التضاد على لسان فرعون مخاطبا قومه « يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي » الزخرف ٥١

٦- كما يأتي وصف المتجبر في الحياة الدنيا المصرّ على الكفر في سياق الوعيد يقول تعالى« ويل لكل افاك اثيم » الجاثية ٧ ذلك ان (اكثر السور المبدوءة في الفواتح نزلت في المرحلة التي بلغ فيها عتوّ المشركين اقصى المدى)[٣٠] مما استوجب هذا الوعيد في سياق الخطاب الالهي لهم

و اما صورة الخشوع في الخطاب القراني فمما يميزها انها جاءت بشكل مفصل متكامل فمنها

أ – خشوع البصر : وقد بين القران الكريم صورة الكافر في الاخرة وخشوعه من ذلةٍ فهو ينظر من طرف خفيّ « وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي » الشورى ٤٥ وهو نهاية في الوعيد[٣١]وهذا الذل يرهقهم «خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة»القلم٤

وهو ما نقرؤه في سورة القمر « خشعاً ابصارهم » القمر ٧ وهي تخشع من هول القلوب لما تطّلع عليه « قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة » النازعات ٩

ب- خشوع الصوت :وسكونه يوم المبعث« يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له و خشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا » طه ١٠٨

جـ - خشوع الوجه : ولصورة اكمل نجد الخشوع بالملامح التعبيرية في الوجه منبئا عن اذى الجوارح جميعا يقول تعالى « هل اتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية »الغاشية ١-٤
د- خشوع النفس: وسكونها عند المؤمنين ففي صلاتهم خشوع « قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » المؤمنون ٢ وفي تضرعهم رغبة ورهبة « فأستجبنا له ووهبنا له يحيى و اصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين » الانبياء ٩٠ . وفي التحلي بالصبر خشوع « و استعينوا بالصبر والصلاة و انها لكبيرة الا على الخاشعين » البقرة ٤٥

و في استكمال صفات المؤمن المسلم حقا الذي يستحق رضوان الله تعالى يأتي ذكر الخشوع ملازما لباقي الصفات « ان المسلمين والمسلمات و المؤمنين والمؤمنات والقانتين و القانتات و الصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات و الحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعدّ الله لهم مغفرة واجرا عظيما»الاحزاب ٣٥

و هو حال المؤمنين في جميع الاديان السماوية الذين لا يستبدلون ايمانهم بتجارة خاسرة « وانّ من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم و ما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا...»
آل عمران ١٩٩ الذين تراهم يستمعون لآي الذكر الحكيم فيزداد خشوعهم « و يخرّون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا » الاسراء ١٠٩ بل ان الارض والجبال لتتصدّع من خشية الله « لو انزلنا هذا القران على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله » الحشر ٢١

رابعا : صيغ البنية الخطابية :

تنوع الخطاب القراني في ذكر الاستكبار في هذه الصور وتعدّدت مدلولاته على وفق السياق ، فقد وردت صريحة خمس عشرة مرة وضمنية ثلاث مرات اي بمجموع ثماني عشرة مرة بما يقارب ثلث عدد مرات ذكرها في القران الكريم وبصيغ مختلفة (فعلا ماضيا ومضارعا مبنيا للمعلوم وللمجهول واسما مفردا وجمعا واسم فاعل ومصدرا) وفيما يأتي رصد لهذه الصيغ في مجمل السور.

السورة	الفعل	العدد	الاسم	العدد
غافر	استكبروا يستكبرون	٢ ١	الكبر متكبر المتكبرين	١ ٢ ١
فصلت	استكبروا	٢		
الشورى	كبر	١		
الجاثية	فأستكبرتم	١	الكبرياء مستكبرا	١ ١
الاحقاف	و استكبرتم	١ ١		

المجموع	يستكبرون	٩ افعال		٦ اسماء

ورد اسم الفاعل (متكبر) ثلاث مرات والعنصر الصرفي في مبناه هو التكلّف من التفعّل ، وتكرر الفعل المزيد بالحروف (استكبر يستكبر) اكثر من غيره ، وهذا المبنى الصرفي يفيد الطلب و الصيرورة كما يعني قوة العيب[٣٢].فضلا عن ورود اسم الفاعل المشتق منه معطيا الدلالة على عظم ما يتركه هذا الفعل وما تلقيه هذه النزعة من جريرة في نفس صاحبها حين يطلبها و يصر عليها ، فهي ضلالة و ابتعاد عن حقيقة مكانة المخلوق مهما علا وقوي ازاء قدرة الخالق، وحقيقة ضعف الانسان وهوانه مهما ازداد قوة بدنية او مكانة دنيوية فما هذه الزيادة الاّ بفضل من الله تعالى كذلك ما تأتي به زيادة الحروف على الفعل الثلاثي المجرد ولو خلا منها لعاد الى اصله صغيرا ببنيته ولقد وردت الافعال تسع مرات بما يقابل ست مرات للاسماء بأستثناء (الكبرياء) لأنها لله تعالى وحده مشيرة الى ان هذه الصفة طارئة ليست في جبلة المخلوق ، متغيرة غير لازمة ، بل الثابت هو التواضع ولأن الفعل متغير متحول فقد تكررت الدعوة لنبذ هذا التكبر والعودة الى الاصل يقول الله تعالى في علة خلق الموجودات « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » الذاريات ٥٦ .

كما جاء ذكر المتكبر بصيغة اسم الفاعل لأن (اسم الفاعل ليس حقيقة في الاستقبال بل في الحال)[٣٣] والحال يراد منه بأمر الله تعالى التحول للمستقبل الذي هو الخشوع للخالق جل وعلا . ولكون السور المكية والحواميم بالاخص قد نزلت في ظرف يستدعي الاقناع والافهام والترغيب والترهيب لما لقيته الدعوة في بدايتها من اعراض وما قوبل به الرسول (ص) من جفاء وصدّ ومواقف تعنت واستكبار فقد جاءت الدعوة الى دين التوحيد بأساليب عدة وصيغ متنوعة .

ولنقابل هذا التنوع والتفنن في الخطاب القراني بما جاءت به السور المدنية من تشريع وتنظيم في صيغ تكاد تكون متماثلة ، وبأسلوب هادئ يخاطب العقول التي عادت للحق ، وقد وقفنا عند التسبيح انموذجا بما ورد في ثلاث سور مدنية متوالية النزول ايضا استهلت به هذه السور وهي

١- « يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير » التغابن ١

٢- « سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم » الصف ١

٣- « يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم »الجمعة ١

فالتماثل واضح في الصيغ وتراكيب الجمل الا بتغيير طفيف ولكأنها الاحالة الى الهداية الحاصلة المتكررة والمتواصلة التي رسخت في النفوس و استقرت فهي واحدة لا تتغير .اما الخطاب القراني في السورتين اللتين ورد فيهما ذكر الخشوع صريحا فقد جاء موقعه بصيغة الحال وهو (ما يبين هيئة الفاعل او المفعول به لفظا و معنى) [٣٤] وقد جاء اسما مرة « خاشعين من الذل » الشورى ٤٥ « ترى الارض خاشعة » فصلت ٣٩ وجملة فعلية مرة اخرى « ينظرون من طرف خفي » الشورى ٤٥ (وبكون الجملة الحالية خبرية و مصاحبة لزمن الفعل في الجملة ومشتملة على رابط يربطها بجملتها وبكونها دالة على هيأة صاحبها و بكونها في محل نصب تترابط الجملة الحالية مع جملتها وتصبح جزءا غير اسنادي من اجزائها)[٣٥] .

كما ورد حالا في المواضع الاخرى لذكر الخشوع من سور القران الكريم ايضا ، فقد وردت صريحة خمس عشرة مرة جاء منها بصيغة الحال سبع مرات و قد غلب مجيئها مشتقة (واشتقاق الحال يجعله نفس صاحبه في المعنى)[٣٦].

و يقع الجانب المعنوي في مجئ مفردة الخشوع بصيغة الحال في انها تعطينا الدلالة على هيأة صاحبها و تقيّد الفعل في الوقت نفسه[٣٧] و القرينة المعنوية اي جهة تقييد علاقة الاسناد هنا هي الملابسة للهيئات فالحال صفة لفاعله في المعنى[٣٨] .

و مع التقييد والترابط وجد البحث انه قد تطول جملة الحال عن طريق التعاقب وهو (احلال الجملة أو شبة الجملة محل المفرد وصلاحيتها في بعض المواقع ان تقوم بما يقوم به وتعاقبه حيث يقع)[٣٩].

وطول التعاقب يؤدي الى طول الجملة ، ففي سورة الشورى يتردد الحال مرتين مرة مفردا ومرة جملة فعلية « و تراهم يُعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي » الشورى ٤٥ وفي سورة القمر يتعاقب الحال وتتداخل الجمل الدالة عليه ثلاث مرات « خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر »القمر ٧ فـ(خشعا) حال مفرد و (يخرجون من الاجداث) جملة فعلية في موضع نصب حال[٤٠] و (كأنهم جراد منتشر) الجملة التشبيهية في موضع نصب حال وفي سورة القلم نجد تعاقب الحال في قوله تعالى « خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة » القلم ٤٣ .

و يتعدد الحال المفرد لمفعول واحد « لرأيته خاشعا متصدعا » الحشر ٢١ لتوكيد خشية الخلق جميعا للحق المنزل من الله جل وعلا وفي غير صيغة الحال قد تطول الجملة عن طريق العناصر الاسنادية في المشتقات يقول تعالى « ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله .... » الحديد ١٦ فالفاعل في هذه الاية الكريمة هو المصدر المؤول من مجموع (ان تخشع قلوبهم) .

هكذا وجدنا التعدد والتعاقب والتداخل يفضي الى التوكيد و التثبيت.

الحواشي والتعليقات

١- القاموس المحيط ، الفيروز آبادي مادة كبر
٢- سنن ابن ماجة، ١٣٩٧/٢ حديث ٤١٧٤
٣و٤- سنن الترمذي ،ما جاء في الكبر الحديث ١٩٩٨
٥- شرح نهج البلاغة ،ابن ابي الحديد ١٠٥/١٣
٦- الصحيفة السجادية الكاملة ،الامام زين العابدين علي بن الحسين (ع) : ٦٩
٧- ينظر سنن الترمذي ، ١٠١٧/٣٢
٨- شرح نهج البلاغة ، ٢٠٧/١٩
٩- الصحيفة السجادية ، ٩١
١٠- الرسالة القشيرية ، عبد الكريم القشيري : ٢١٧
١١- م.ن : ٢٢٠
١٢- رسائل ابن عربي : ٢٨٠
١٣- البرهان في علوم القران ، الزركشي ٢٤٧/٣
١٤- القاموس المحيط ، مادة وضع
١٥- شرح نهج البلاغة ١٣٤/١١
١٦- الرسالة القشيرية : ٢١٧
١٧- الصحيفة السجادية : ١٤١
١٨- الرسالة القشيرية ٢١٨
١٩- ينظر (الحروف المقطعة في القران الكريم) عبد الجبار حمد:٥
٢٠- م .ن :٦٦
٢١- الاتقان في علوم القران ٢/ ١٠٦
٢٢- تفسير ابن كثير ٤/ ١٣٦٥
٢٣- م .ن : الصفحة نفسها

٢٤- في ظلال القران ، سيد قطب ٣٠٦٥/٢٤
٢٥- م .ن : ٢٤/ ٣٠٨٩
٢٦- البرهان في علوم القران ٣/ ٢٨٤
٢٧- م.ن : ٣/ ٦٨
٢٨- اعجاز القران ، الباقلاني : ١١
٢٩- البرهان في علوم القران : ٤٥٨/٣
٣٠- الحروف المقطعة في القران الكريم : ٤٦
٣١- اعجاز القران للباقلاني : ٢٨٣
٣٢- ينظر اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ١٤١ و١٤٤
٣٣- البرهان في علوم القران ٣/ ٣٧٦
٣٤- الكافية في النحو ، ابن الحاجب النحوي ١ / ١٩٨
٣٥- في بناء الجملة العربية ، د. محمد حماسة :٩٠
٣٦- م.ن ٢٠٨
٣٧- م .ن ٢٢١
٣٨- اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٩
٣٩- في بناء الجملة العربية :٩٥
٤٠- اعراب القران ، ابو جعفر النحاس ٤/ ٢٨٧

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم:
١- الاتقان في علوم القران ، جلال الدين السيوطي
المطبعة الحجازية ١٣٦٨ دار الفكر بيروت
٢- اعجاز القران ، ابو بكر الباقلاني محمد بن الطيب
تحقيق السيد احمد صقر طـ دار المعارف ١٩٥٤
٣- اعراب القران ، ابو جعفر احمد بن محمد النحاس
تحقيق د . زهير غازي زاهد طـ عالم الكتب ١٩٨٥
٤- البرهان في علوم القران محمد بن عبد الله الزركشي
تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، طـ عيسى البابي الحلبي (د.س)
٥- تفسير ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن كثير
تحقيق محمود عبد القادر الارناؤوط . طـ دار صادر بيروت ١٩٩٩
٦- الحروف المقطعة في القران الكريم ،عبد الجبار حمد حسين شرارة
مطبعة الارشاد بغداد١٩٨٠
٧- رسائل ابن عربي ، محيي الدين بن عربي
ضبط محمد شهاب الدين العربي طـ دار صادر بيروت ١٩٩٧
٨- الرسالة القشيرية ، عبد الكريم القشيري
تحقيق هاني الحاج ، المكتبة التوفقية مصر
٩- سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد القزويني طـ دار الجيل بيروت
١٠- سنن الترمذي محمد بن عيسى ابن سورة طـ دار احياء التراث العربي
١١- شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد
طـ بيروت مؤسسة الاعلى للمطبوعات ٢٠٠٤
١٢- الصحيفة السجادية الكاملة ، الامام زين العابدين علي بن الحسين (ع) تقديم السيد محمد باقر الصدر طـ دار التيار الجديد لبنان ٢٠٠٢
١٣- في بناء الجملة العربية ، د . محمد حماسة عبد اللطيف

دار القلم الكويت ١٩٨٢
١٤- في ظلال القران ، سيد قطب
دار الشرق بيروت ١٩٨٥
١٥- القاموس المحيط ، الفيروز آبادي
ط مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٢
١٦- الكافية في النحو ، ابن الحاجب النحوي
شرح رضي الدين الاستر آبادي ، ط دار الكتب العلمية لبنان ١٩٨٥
١٧- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان الهيأة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣

The Haughtiness and the Humility in Al Koran

Dr. Hameeda S. Al- Baldawy*

***Arabic Language Dept. – College of Education for Women Baghdad University**

Abstract

What the research come to:

1- The presentation of the image of the proud person in this mortal life appeared in several styles such as (conversation) arousing the insert once and convincing in other time, (confirmation) in all its types، (argument) scolding with the gradual progress of time of the discourse .Interview and parallelism are two of these styles with the presences of the repetition style especially in the topics that has a reference to the theme of (pride) being implied not directly stated. The Koran discourse varied in its reference to the theme of pride according to the context which is mentioned directly (eighteen times) which formed one third of the number of times of its mentioning in the Holy Koran and in different forms.

2- The verb with additional letters is repeated (استكبر - يستكبر) and the present participle that is derived from the verb more than others giving the sense of the request and “he becoming” and the sense of how great the guilt which the request left in the person's self.

3- The verbs mentioned more than the nouns referring that this urgent adjective is not natural creatures and changeable not adherent, yet what is constant is modesty, and because the verb is variable and changeable the call was repeated to dismiss to renounce pride and be back to the origins.

Pride is also mentioned in the form of present participle referring to the event either described with atheism or arrogant or in the sense of him being chained with his insistence that is because the present principle is not in the reality of perception but not in the order of Allah (be raised far above) in the changing and variable form for the future.

The moral evidence to understand the meaning of the event comes from the side of the meaning attributed to the additional

letters of the forms and what the form (استفعل) serve as request, power, and fault, also what the form (تفعل)include of artificiality and exposition to the reverence which appears in the Koran discourse in the form of adverb, describing the manner and restricting the verb, with the variety of types and subjects, leading to the assertion in its repletion overlapping and the sequence of its sentences. This proves the faith in “right” and calmness of the “self” in the believers, opposite it with the sense in the unbelievers like lowness and disgrace.

The image of reverence comes perfectly to include the calmness of the heart and self organs and the entire creatures which is the reverence caused by faith in any doctrine and in any situation with desire and fear in this mortal and in the ever after that is because the mortal evidence or one which shape the form.